Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5 (9), July 2018

Article History		
Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online / Yayınlanma
9 /6/2018	20 /6/2018	1 /7/2018

ترسيخ وتغيير قيم المجتمع الجزائري من خلال السينما الجزائرية

الباحثة.قرقابو سعاد

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على القيم الاجتماعية التي تحملها الأفلام السينمائية الجزائرية والتي تبثها إلى المشاهد عبر الشاشات الكبيرة أو شاشات التلفاز، فمن جهة سنتعرف على مجموعة من القيم الاجتماعية المتشعبة في المجتمع الجزائري والتي ما يزال يحافظ عليها، وتهدف السينما الجزائرية من خلال تقديمها بشكل ايجابي محبب إلى التأكيد عليها، حيث تساعد على نشرها بغية ترسيخها لدى المشاهد. ومن جهة أخرى سنقدم بعض القيم الاجتماعية التي ما عادت جزء من المجتمع الجزائري وذلك مواكبة للتغير الاجتماعي، والظروف الاقتصادية، والسياسية... التي تعرفها الجزائر، إذ تساهم السينما على تشجيع تبديلها وتغيرها ومن ثم تعويضها بالقيم الجديدة المناسبة للمعطيات الحديثة للمجتمع.

الكلمات المفتاحية : السينما الجزائرية–القيم الاجتماعية– المجتمع– الترسيخ–التغيير–التغير الاجتماعي

Establishing and change of social values

in the Algerian cinema

Abstract:

This study aims to explore the social values of the Algerian films, which are transmitted to the viewers through cinema screens or television. On the one hand, we will show a range of social values of the Algerian society that are a part of their culture. The Algerian cinema gives a positive impression for the viewers about these values. On the other hand, we will provide some social values that are no longer part of Algerian society because of the social change, the economic and political conditions. The cinema contributes to encouraging the change of values, and to compensating by new values suitable for the modern Algerian society.

Keywords : Algerian cinema- social values- society- consolidation-change- social change

ترسيخ وتغيير قيم المجتمع الجزائري من خلال السينما الجزائرية

الباحثة.قرقابو سعاد

المقدمة

يحكم كل مجتمع مجموعة من القيم سواء الدينية، الثقافية، الاقتصادية، الاجتماعية... إن ما يهمنا من مجموع القيم الآنفة الذكر هو القيم الاجتماعية، حيث تختلف وتتعدد المصادر التي تقدمها فنذكر منها الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام... إن ما أثار اهتمامنا من مجموع هذه المصادر هو السينما الجزائرية ومجموع الرسائل التي تحملها وبالخصوص المتعلقة بالقيم الاجتماعية التي تنشرها وسط المشاهدين، حيث سنركز بالدرجة الأولى على دورها في ترسيخ أو تغيير القيم الاجتماعية، ولقد اعتمدنا على تحليل المضمون للأفلام بهدف استخراج القيم الاجتماعية التي سعى المجتمع لترسيخها أو القيم التي يعمل على تغييرها بقيم أخرى مناسبة له. ارتئينا أولا أن نقدم لمحة عامة لتاريخ السينما الجزائرية وثم الوقوف على تثبيت القيم بالمجتمع الجزائري أو تغييرها بقيم جديدة من خلال مجموعة من الأمثلة المقتبسة من أفلام جزائرية.

1. لمحة عامة لتاريخ السينما الجزائرية:

إن السينما وسيلة تعبير فنية فهي مرآة عاكسة للمجتمع، حيث تصور لنا أحداثا تاريخية، وتغيرات اجتماعية، وتطورات اقتصادية وأخرى ثقافية، وواقع معاش... تختلف المواضيع التي تتطرق إليها السينما، وكذلك الأمر بالنسبة لطريقة الطرح فيمكن أن تقدمها للمشاهد بطريقة ساخرة، أو درامية، أو تاريخية...[1]

لقد تأخر وصول السينما للجزائر كفن، فلم تعرف طريقها إليها إلا خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وهو ما ترك أثرا، لم تزله السنوات من على الأفلام الجزائرية، انعكس ذلك من خلال الحضور الدائم والمتكرر لمواضيع الثورة، والاستعمار، والاستقلال... وكل ما له علاقة بتلك الفترة التاريخية التي عاشتها الجزائر، حيث برزت ليس فقط من خلال الأفلام المنتجة في بداياتها بل وحتى على المدى الطويل. ولقد مرت السينما بعدة مراحل حيث تأثرت بالأحداث التاريخية، والتغييرات الاجتماعية، والتطورات السياسية وأيضا الثقافية، والتي شكلت مواضيعا لأفلامها.

خطت السينما خطواتها الأولى بالجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث تعود بداياتها الأولى إلى "قبل التحرير وحتى عام 1946 لم يكن في الجزائر سوى مصلحة فوتوغرافية واحدة، وفي عام 1947 أنشأ الفرنسيون مصلحة سينمائية أنتجت عددا من الأشرطة القصيرة وعرضت وترجمت في أغلبيتها إلى لغتين"[2]. إن الظروف التي زامنت ظهور السينما الجزائرية ساهمت في اختيار مواضيع الأفلام، حيث أعطت لجميع الأعمال السينمائية طابعا واحدا. لقد اهتم العاملون بالسينما خلال بداياتها بالجزائر على إنتاج نوع واحد من الأفلام وهي ما يعرف بأفلام الحرب، حيث اهتم بذلك مخرجون جزائريون وآخرون أجانب "ظهر فيلم الحرب مبكرا بالجزائر، خلال الحرب، وذلك لأن المطالبين بالاستقلال (من بينهم روني فوتييه (René VAUTIER)) قد أرادوا التعريف ببعض جوانب هذه 'الحرب المجهولة'"[3]. لقد

---

1 "النوع (genre) هو مفردة فرنسية توظف أيضا باللغة الإنجليزية. [...] عندما نتحدث عن "الأنواع السينماتوغرافية"، فإننا نقصد بعض أنواع الأفلام. إن كلا من فيلم الخيال العلمي، فيلم الحركة، فيلم الكوميديا، الكوميديا الموسيقية، وأفلام الغرب هي إحدى أنواع السينما الروائية".

L'art du film : une introduction. BORDWEll, David ; THOMPSON, Kristin. 3ème édition. Belgique: de Boeck, 2013. Page 519.

2 السينما في الوطن العربي. الكسان، جان. الكويت: عالم المعرفة، 1982. صفحة 216.

3 50 de cinéma maghrébin. DENISE, Brahimi. Alger: Chihab éditions, 2010. Page 23.

تم أنشاء أول مدرسة للتكوين السينمائي على يد روني فوتيي (René VAUTIER) سنة 1957 والتي استفادت منها جبهة التحرير الوطني (FLN) بشكل كبير، إذ "كانت الحاجة ملحة لإيجاد سينما تواكب مسيرة حرب التحرير التي بدأت عام 1954، وكان لابد لهذه السينما أن تنطلق من منطلق علمي مدروس ولا تكون مجرد مغامرة، لهذا وفي 1957 فتحت مدرسة للتكوين السينمائي [...] وكان مديرها روني فوتييه (وهو فرنسي التحق بصفوف جيش التحرير الوطني)"[1].

- **سينما الاستقلال:**

عرفت السينما تطورا ملحوظا بعد خطواتها الأولى الصغيرة، حيث مع تغير الأوضاع السياسية واستقلال الجزائر انقلبت الموازين بعالم الفن السابع، وبدأ الإنتاج الرسمي للسينما الجزائرية حيث "انطلقت السينما الجزائرية وبصورة خاصة بعد الاستقلال لإنتاج مجموعة كبيرة من الأفلام، فبلغ إنتاج الأفلام الطويلة حتى عام 1974 مثلا خمسة وعشرين فيلما، والإنتاج المشترك حوالي ثلاثة عشر فيلما في الفترة نفسها، بالإضافة إل تسعة أفلام من الأفلام القصيرة والمتوسطة الخيالية، وتسعة عشر فيلما للتلفزيون وعشرات الأفلام الوثائقية القصيرة"[2]. صور المخرجون الأحداث التي عاشتها الجزائر خلال فترة الاستعمار وجعلوا منها موضوعا متكررا لأفلامهم، فتناولوا شجاعة المجاهدين، واضطهاد المستعمر. وواصلت السينما الجزائرية لفترة من الزمن على نفس المنحى.

قامت الجزائر بعدة جهود لإنشاء قاعدة للسينما الجزائرية ولذلك قامت محاولات بغية تطويرها، فأنشأت مجموعة من الهياكل القاعدية تمثلت في: "تكوين لجنة السينما عام 1959، ومصلحة السينما عام 1960، والإذاعة والتلفزيون وتكوين مركز السمعيات والبصريات عام 1962"[3].

- **سينما التجديد:**

لقد شهدت سنوات السبعينات قفزة نوعية للسينما حيث حصل تغيير كبير على مستوى المواضيع وطريقة الطرح "بداية من سنوات السبعينات، أصبحت اتجاهاتها مبتكرة، ممهدة الطريق نحو تنويع المواضيع والأشكال. زيادة على الأفلام التي تطرقت للاستقلال، قدم المشهد السينماتوغرافي أفلاما تناولت مواضيع اجتماعية وتميزت بشكل خاص بالقطيعة مع عادات سينما المجاهد"[4]. يمكن تلخيص خصوصيات السينما في السبعينات أو يعرف بسينما التجديد في: أولا اهتمام المخرجين في هذه الفترة بتصوير أفلام اهتمت بمواضيع جديدة ومختلفة عن ما ألفه المشاهد (الإصلاح الزراعي، عمل المرأة)، والتي صورت المجتمع الجزائري بعد الاستقلال والتي تهتم بالحياة اليومية للفرد في ظل التغيرات الكبرى التي عاشها المجتمع من ظروف اجتماعية، اقتصادية، سياسية... ثانيا الإبقاء المستمر على موضوع الحرب والاستعمار.

1 السينما في الوطن العربي. الكسان، جان. الكويت: عالم المعرفة، 1982. صفحة 217.

2 السينما في الوطن العربي. الكسان، جان. الكويت: عالم المعرفة، 1982. صفحة 219.

3 المرجع السابق. صفحة 219.

4 Le cinéma algérien à partir des années 1990: ruptures, diversifications, croisements, réflexion sur des regards filmiques et leurs questionnements identitaires en transformations. DOMBERG, Verena. In : BIENBECK, Ricarda et al. Transformations : changements et renouveaux dans la littérature et le cinéma au Maghreb depuis 1990. Munchen: AVM Edition, 2016. Page 94.

واصلت السينما خطواتها على نفس المنوال وعلى نفس وتيرة التغيير، "على طول سنوات الثمانينيات، ساهمت أفلام أخرى في الترويج للمرأة، وواصل تيار السينما وموضوعاته في التنوع، مقدمين إشكاليات اجتماعية على غرار الهجرة"[1].

- **الركود السينمائي:**

لقد تم حل وتفكيك الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية سنة 1984، وتم إنشاء سنة 1986 الشركة الوطنية للإنتاج السمعي البصري وهو ما فرض على المخرجين إنتاج أفلامهم، وما ما دفع بالكثير منهم إلى الهجرة بحثا عن التحرر من الرقابة والضغوط المحلية. "في سنوات الثمانينات، بدأ فجأة ازدهار السينما الجزائرية بتثاقل جراء انهيار الهياكل السينمائية وتهديد التطرف المتصاعد، حيث أن الدولة بدأت في الانسحاب تدريجيا بداية من سنوات الثمانينيات"[2]. وفي ظل هذه الأزمة والتغير الحاصل، قليل هم المخرجون الذين صمدوا، نذكر منهم علواش، شويخ، حجاج، مدور.

- **السينما المعاصرة:**

الرجوع بقوة إلى إنتاج أفلام حول حرب التحرير والاستقلال ولكن هذه المرة تم التركيز على الشخصيات الثورية نذكر منها: كريم بلقاسم (أحمد راشدي، 2014)، لطفي (أحمد راشدي، 2015)، فاطمة نسومر (بلقاسم حجاج، 2014)، زبانة (سعيد ولد خليفة، 2012)، مصطفى بن بولعيد (أحمد راشدي، 2008).

طغى على الأفلام المنتجة خلال هذه الفترة الطابع الاجتماعي، حيث اهتمت بالواقع المعاش للأفراد وكذلك بالظواهر التي تزامنت مع المعطيات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية الجديدة للمجتمع. خرج للنور مجموعة من الأفلام التي تطرقت لظاهرة الهجرة غير الشرعية (الحرقة) وأخرى اهتمت بالعشرية السوداء أي الفترة الأمنية التي مرت بها الجزائر.

نستخلص أن السينما الجزائرية واكبت كل الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر، فقدمت أفلاما تناولت مواضيع مهمة ومأثرة في كل فترة، حيث تطرقت إلى الثورة الزراعية، وعمل المرأة وتنظيم النسل والهجرة غير الشرعية والعشرية السوداء...

2. القيم الاجتماعية:

لقد استلهم موضوع القيم علماء وباحثين من تخصصات مختلفة على سبيل المثال لا الحصر علم الاجتماع، وعلوم الإعلام والاتصال، وعلم النفس، وعلم التربية، والأنثروبولوجيا، والفلسفة... كل حاول أن يدرس القيم من زاوية تخصصه حيث "اهتم الفلاسفة بالقيم التي لها علاقة مع الحقيقة، والجيد والجميل؛ وركز الأنثروبولوجيون على القيم المرتبطة بالنقل والإنتاج البشري؛ أما علماء النفس فدرسوا

1 Ibid. Page95.

2 Le cinéma algérien à partir des années 1990: ruptures, diversifications, croisements, réflexion sur des regards filmiques et leurs questionnements identitaires en transformations. DOMBERG, Verena. In : BIENBECK, Ricarda et al. Transformations : changements et renouveaux dans la littérature et le cinéma au Maghreb depuis 1990. Munchen: AVM Edition, 2016. Page 96.

تلك المتعلقة بالصحة العقلية؛ وحلل علماء الاقتصاد القيم التي تؤثر على آليات السوق؛ ويحلل علماء الاجتماع القيم التي لها صلة بالتغيرات الاجتماعية؛ أما المؤرخون فيهتمون بتلك التي تسمح بوصف وتفسير الأحداث التاريخية"[1].

لقد قدمت مجموعة من التعريفات لشرح مفهوم القيمة، فمنهم من بيّن بأنها "أسلوب تواجد أو نمط تصرف معترف على أنه مثالي من طرف شخص أو مجموعة، تجعل القيمة الأشخاص أو السلوكات التي تنتسب لها مرغوبا فيها وقدوة"[2]، كما أنها جزء لا يتجزأ من أفراد المجتمع فهي "تنتمي إلى التوجهات العميقة التي تشكل تمثلات وأفعال الشخص"[3]. كما أن المجتمع الذي ننتمي إليه ونعيش فيه، هو الذي يفرضها على أفراده.

إذن القيم الاجتماعية هي التوجهات التي يفرضها المجتمع على أفراده، يمكن أن تتغير هذه القيم الاجتماعية نظرا للتغيرات والتحولات التي يعرفها المجتمع وهو ما يعرف بالتغير الاجتماعي، والذي قدم على أنه "تحول ملحوظ عبر الزمن، والذي يؤثر بشكل غير مؤقت وغير قصير على هيكل وعمل التنظيم الاجتماعي لجماعة معينة والذي يغير مسار التاريخ"[4]. لتتوالى البحوث والدراسات ليعرف بشكل مفصل على أنه "مجموع التحولات التي تمس الجماعة وليس شخص لوحده، وهي تغيرات متعددة الجوانب فمنها الاقتصادية والثقافية والسياسية، وبالخصوص تغيرات ذات طابع لا رجعة فيها والتي تؤثر على عملية سير المجتمع كاملا"[5].

3. القيم الاجتماعية من خلال السينما الجزائرية:

لقد مرت السينما الجزائرية بعدة مراحل، إذ أنها واكبت التغيرات والتحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري، فقدمت أفلاما تناسب مجريات كل فترة زمنية، وبذلك عملت على التأكيد على بعض القيم الاجتماعية بهدف ترسيخها، كما حاولت إزالة بعض القيم الاجتماعية التي ما عادت تناسب المجتمع وإبدالها بقيم أخرى وهو ما يفسر على أنه خطوة نحو التغيير.

1.3. ترسيخ القيم الاجتماعية:

تسعى السينما الجزائرية إلى ترسيخ بعض القيم الاجتماعية والتي تتناسب والمجتمع الجزائري، فهي جزء لا يتجزأ من كينونة الفرد الجزائري. لقد سعت إلى ذلك من خلال تقديم صورة ايجابية لهذه القيم، كما أنها قدمتها بشكل متكرر، أي أنها حاضرة في مجموعة من الأفلام وذلك بهدف نشرها بين أفراد المجتمع والتأكيد عليها.

من أبرز القيم الاجتماعية التي صورتها السينما الجزائرية وعرضتها على الشاشات الكبيرة والصغيرة وفق قراءات مختلفة لمخرجين جزائريين، تمثلت في حب الوطن وحب العائلة.

- **حب الوطن والعائلة:**

1 Les valeurs fondatrices des sociétés contemporaines. WIE, Pan. Diogènes. Paris: Presses universitaires de France, 2008/1, n° 221. Page 74.
2 Introduction à la sociologie sociale : action sociale. Guy, ROCHER. Tome 1. Canada : HMH, 1969. Page 201.
3 Les valeurs des français: évolution de 1980 à 2000. BRECHON, Pierre. Paris : Armand Colin, 2000. Page 9.
4 Introduction à la sociologie générale: le changement sociale. ROCHER, Guy. Tome 3. Paris: édition HMH, 1972. Page 22.
5 Le changement social contemporain. ROGEL, Thierry. Paris: Bréal, 2003. Pages 8-9.

ترسيخ وتغيير قيم المجتمع الجزائري من خلال السينما الجزائرية

الباحثة.قرقابو سعاد

هي قيمة تسعى كل المجتمعات وعلى مر العصور على زرعها وترسيخها في قلوب أفرادها ومواطنيها، يتجلى حب الوطن خلال فترات الحروب من خلال التضحية والمحاربة في سبيل الحفاظ على الوطن. هذه القيمة بقي محافظ عليها في المجتمع الجزائري على الرغم من التغيرات التي مسته حيث تبدل الوضع السياسي للجزائر من بلد مستعمر إلى بلد مستقل. وهو ما يبرز من خلال الإنتاج السينماتوغرافي الجزائري الذي لم يكل ولم يمل من تصوير الفترة التاريخية التي عاشتها الجزائر من الدخول الفرنسي إلى الاستقلال، ولم يشكل ذلك موضوعا مهضوما بالنسبة للمخرجين من أجيال مختلفة، حيث أنتجت أفلام بعضها إنتاج جزائري والآخر إنتاج مشترك.

إن تأثير مواضيع الثورة، حرب التحرير، والاستعمار والاستقلال على الساحة السينمائية واضح وجلي، وهو ما تقره مليكة ليشور رومان (Malika LAÏCHOUR ROMANE)[1] "لا تزال السينما الجزائرية مسرحا لحكاية الماضي، حيث لم يبقي إلا طعم الماضي، مجرد الطعم. إن هذا الثبات المزعج يعيق عرضا للمستقبل، والذي نستثني منه مصير المهاجر السري للموت 'الحراق'. إلا أن هذه السينما المتعلقة إلى هذه الدرجة بالماضي، ترقى إلى مكانة الأرشيف، إذ أنها لا يمكن إلا أن تزداد فقرا وتصرخ من شدة الجوع وذلك عن طريق تجريدها من ملكيتها".

لقد سجل حضور قيمة حب الوطن بالسينما الجزائرية منذ البدايات الأولى للسينما الجزائرية والتي كانت تهدف إلى زرع الوطنية وحب الوطن، والتي استغلها حزب جبهة التحرير الوطني بشكل كبير. شارك في ذلك مخرجون جزائريون وآخرون أجانب، نذكر منهم روني فوتييه (René VAUTIER) الذي أخرج فيلما قبل الاستقلال سنة 1954 بعنوان **أمة: الجزائر**(Une nation: l'Algérie)، حيث أن للعنوان دلالة كبيرة عن قيمة حب الوطن وذلك في ظل الظروف التي كانت تعيشها الجزائر، ولقد شمل الفيلم على جملة "الجزائر ستصبح بكل الأحوال مستقلة" وهو ما سبب مشاكل للمخرج.

وتوالت الأفلام التي عرضت حب الوطن من خلال تضحية الشعب في سبيل استقلال الوطن، منها أفلام صورت حضور العلم الجزائري بشكل كبير وخروج المواطنين للشارع ورفعهم للعلم الوطني الجزائري على الرغم من الاستعمار ومناداتهم باستقلال الجزائر. يجسد ذلك فيلم **معركة الجزائر** (جيلو بونتكوفو، 1966)والذي يركز بشكل مباشر على انتفاضة الشعب وخروجهم إلى شوارع الجزائر العاصمة رافعين العلم الجزائري.

كما بينت السينما الجزائرية أن كل أفراد المجتمع وعلى اختلاف جنسهم وسنهم اظهروا حبهم للوطن وتضحيتهم في سبيله ومشاركتهم في تحرير الجزائر. يبين فيلم **أولاد نوفمبر** (موسى حداد، 1975) مشاركة فئة عمرية في النضال من أجل الاستقلال ، وهي الأطفال، وعلى الرغم من مرضه فالطفل مراد مصاب بالقلب، إلا أن ذلك لم يمنعه من المشاركة في الحفاظ على الوطن والموت في سبيله.

كثيرة من الأفلام التي ساهمت في نشر وترسيخ حب الوطن كقيمة اجتماعية والتي ظل المجتمع الجزائري محافظا عليها على الرغم من التغير الاجتماعي. نذكر على سبيل المثال لا الحصر: فيلم **الأفيون والعصا** (أحمد راشدي، 1970) والذي يؤكد على صمود المجاهدين ووقوفهم حتى أمام الموت، واشتهر بمقولة "موت واقف"، وفيلم **دورية نحو الشرق** (عمار العسكري، 1971) والذي ابرز مقاومة الثوار للمستعمر الفرنسي.

1 ROMANE, Malika Laïchour. Cinéma Algérie: en quête de l'intime. La pensée revue éditée par la fondation Gabriel Péri. 384 Octobre/Décembre 2015. Page 69.

ركزت السينما في بداياتها على تجسيد نضال الشعب الجزائري بصفة عامة ثم انتقلت في سنوات 2000 إلى التركيز على الشخصيات الثورية، فتم إنتاج مجموعة من الأفلام لشخصيات شاركت في الثورة من بينها **كريم بلقاسم** (أحمد راشدي، 2014)، **لطفي** (أحمد راشدي، 2015)، **فاطمة نسومر** (بلقاسم حجاج، 2014)، **زبانة** (سعيد ولد خليفة، 2012)، **مصطفى بن بولعيد** (أحمد راشدي، 2008).

- **حب العائلة:**

إن قيمة حب العائلة أو بكلمات أخرى حب أفراد العائلة لبعضهم البعض، والتي تنعكس من خلال التضحية، والحنان، والعطاء دون مقابل، والرعاية، والكفالة...تتجلى هذه القيمة الاجتماعية في الأفلام الجزائرية بين أفراد العائلة فمثلا بين الوالدين، وبين الأبناء، وبين الإخوة...

لعل أنه من أبرز الأفلام التي تصور حب الأم وتضحيتها من أجل ابنها فيلم **ريح الأوراس** (محمد الأخضر حمينا، 1966)، الذي يصور لنا الصعوبات التي مرت بها الأم للعثور على ابنها الذي تم اعتقاله بعد موت أبيه حيث أمضت أياما في البحث عن ابنها من معتقل إلى آخر حتى تصل في الأخير إلى الموت قرب المعتقل الذي يأسر ابنها فيه، وكذلك يبرز الفيلم التضحية من أجل الوطن.

يقدم فيلم **امرأتان** (عمار تريبش، 1992) حب العائلة بشكل مختلف فهو يعرض هذه القيمة وفق زوايا مختلفة، فيبين لنا حب الأم لأولادها من خلال صبرها على العنف الجسدي، والمعنوي واللفظي الذي تعيشه من زوجها الذي قرر الزواج للمرة الثانية. كما يسقط الضوء على حب الابن الكبير لأمه من خلال محاولته لقتل أبيه ثأرا لأمه جراء العذاب والمعاناة التي عاشته وقاصته الأم.

يزيح فيلم **زهرة الرمال** (محمد رشيد بن الحاج، 1989) عن القيمة الاجتماعية المتمثلة في حب العائلة ولكن هذه المرة بين أفراد مختلفين، بين الأخت والأخ، حيث ينعكس حب الأخت لأخيها المعاق في رعايته والتكفل به وكذلك قيمة ثانية تتمثل في زرع الأمل والمحاربة من أجل العيش على الرغم من صعوبة الظروف واستحالتها. تدور أحداث الفيلم في الصحراء وهي ما تعكس حالة موسى المعاق الذي يكابد للعيش رفقة أخته التي لم تتزوج لمساعدته ورعايته. كما ترمز الزهرة التي قام موسى بزراعتها ويتكبد عناء التنقل إليها لرعايتها في وسط قاحل جاف إلى الأمل بالحياة على الرغم من الحالة الصحية لموسى.

يقدم فيلم **مسخرة** (لياس سالم، 2008) مجموعة من القيم الاجتماعية الايجابية منها والسلبية على غرار الكذب، والادعاء، والانتهاز، والنصب والاحتيال... إلا أننا اخترنا أن نسلط الضوء على القيمة الاجتماعية وهي حب العائلة، بالتحديد بين الأخ وأخته. إذ يعالج الفيلم بطريقة كوميدية ساخرة تكفل الأخ بأخته، التي تتقاسمه السكن مع زوجته وابنه. كما يبرز لنا الفيلم درجة وأشكال حب الأخ لأخته حيث يضطر إلى نشر إشاعة تقدم عريس فاحش الثراء لخطبة أخته وذلك من أجل حمايتها من كلام سكان المنطقة اللاذع حيث يصفونها بالمريضة العانس.

من خلال مجموعة الأفلام السابقة، فلقد جسدت قيمة حب العائلة والتضحية في سبيلها وفق أشكال مختلفة والتي شملت الحنان، والتكافل العائلي، بل وصلت إلى درجة الموت. كما أن السينما صورت ذلك بصورة ايجابية تحبب المشاهد بالشخصيات وتدفعه للتأثر بهم وجعلهم قدوة له، حتى يسعى الجميع لإسعاد أفراد العائلة والمحافظة على كينونتها رغم كل المشاكل والعقبات.

2.3. تغيير القيم الاجتماعية:

لقد عاشت الجزائر خلال الفترة من ظهور السينما وإلى يومنا أحداثا تاريخية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية... دفعت إلى التغير الاجتماعي وهو ما ساهم في تغير وتبدل القيم الاجتماعية بالمجتمع الجزائري. تماشت السينما مع الحال والوضع الاجتماعي والتغيرات الحاصلة، كما أنها تأثرت بجميع الأحداث والظروف التي عرفتها الجزائر على مستوى مختلف الميادين. يقوم تغيير القيم الاجتماعية على إبدال قيمة اجتماعية بقيمة أخرى تناسب الظروف العامة للمجتمع في فترة وزمن معين ميزتها الأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية. لقد قدمت السينما صورة سلبية للقيم التي يسعى المجتمع إلى تغييرها بقيم جديدة عرضتها في قالب ايجابي مثالي، سنقف على تعلم المرأة وخروجها للعمل، وتنظيم النسل، والزواج المبكر.

تعليم وخروج المرأة للعمل:

نظرا للتغير الاجتماعي الذي عاشته الجزائر بعد الاستقلال، فإن كثيرا من القيم الاجتماعية ما عادت مناسبة لتوجهاتها، فلقد أصبحت قابلة للتغير وللإبدال بقيم جديدة مناسبة للمجتمع الجزائري، من بينها وضعية المرأة والتي أصبحت عنصرا فعالا في المجتمع تحتاج إلى حقها في التعليم والعمل. أنتجت مجموعة من الأفلام التي دعمت مواصلة المرأة لدراستها وبالخصوص الدراسات الجامعية وولوجها لعالم الشغل.

يتطرق فيلم **الفحام**[1] (محمد بوعماري، 1972) للتحولات الاقتصادية التي أثرت على المجتمع الجزائري والتي دفعته للتخلي عن بعض القيم وإبدالها بقيم أخرى، حيث يقدم لنا صورة مصغرة للمجتمع الجزائري الذي يقف عند عتبة التغير التي يشهده، فنظرا للمعطيات الاقتصادية الجديدة، طرأت عدة تطورات على القيم الاجتماعية لهذا المجتمع. يبرز بشكل مباشر المرحلة الانتقالية للمجتمع الجزائري وفق المعطيات الحديثة ومنها الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية... لقد أثرت التغيرات الاقتصادية (الانتقال من الفحم إلى الغاز، وبدأ ظهور المصانع) بشكل رئيسي على المرأة وهو ما اضطرها إلى خروج للعمل وإدخال الأطفال للمدرسة. لقد تمثلت القيم الاجتماعية قبل الحداثة: مكوث المرأة في البيت، وعدم خروجها، ومشاركتها بتكاليف العيش من خلال صنعها للأواني الفخارية والنسيج. أما القيم الاجتماعية الجديدة المرغوب فيها نشرها تمثلت في التحاق الأطفال بالمدرسة، وعمل المرأة خارج البيت، وبحث الزوج عن عمل جديد يتوافق مع حاجة السوق (من فحام إلى عامل بأحد المصانع).

لعل أن أبرز القيم الاجتماعية في فيلم عائلة كي الناس "عائلة مثل الجميع" (عمار تريبش، 1994) تتمثل في عمل المرأة، وحب العائلة والدعم والتكافل العائلي وهو ما انعكس من خلال عمل الأخت في الحياكة لتغيير الظروف المالية التي تعيشها العائلة وقدرتهم على شراء كماليات تلك الفترة التي تمثلت في اقتناء سيارة.

كثيرة هي الأفلام التي وقفت بشكل رئيسي أو بشكل جزئي على ضرورة مواصلة الفتيات للدراسة، حيث أن التوقف عن الدراسة وفرض الزواج المبكر على الفتاة ما عاد يتناسب ومعطيات المجتمع الجزائري، حيث تغير وأصبح يدعو إلى ضرورة إكمال الفتاة لدراستها، وعلمها واختيارها لشريك حياتها: يقف فيلم **زوجة لابني** (علي غانم، 1982) على تزويج الفتاة مبكرا دون مشاركتها في اختيار الزوج،

1 "[...]متميز في مسيرة السينما الجزائرية [...]ويعتبره بعض النقاد أفضل الأفلام الجزائرية من حيث أنه ثوري تحريضي، ألا وهو الفحام".

حيث يصور معاناة الفتاة التي أجبرت على ترك مقاعد الدراسة مبكرا والزواج من شخص لا تعرفه، ومن هنا بدأت المعاناة اليومية إذ تركها زوجها حاملا مع والديه وذهب إلى فرنسا للعمل. لقد تخلصت من ذلك بهروبها ورجوعها إلى بيتها، وكأن المخرج أراد بذلك القطيعة مع القيم الاجتماعية البالية التي ما عادت تتلاءم مع توجهات المجتمع الجديدة.

تنظيم النسل:

يقدم فيلم**عايش بتناش** (عائلة من اثنا عشر فرد) (محمد حلمي، 1976) مقارنة بين العائلة المكونة من عدة أفراد والعائلة التي اعتمدت على تحديد النسل وهي مكونة من الأبوين وطفلين (ولد وبنت): يظهر كل سلبيات ومشاكل العائلة المكونة من عدة أفراد والتي لم تتبع تنظيم النسل، حيث يصور لنا الصعوبات التي تعيشها العائلة يوميا: عدم نجاح الأطفال في الدراسة، والجوع، وعدم القيام برحلات، والفشل في الحياة الدراسية والعملية على حد سواء، وعدم القدرة على شراء كماليات مثل سيارة، والمشاكل العائلية بين الزوجين، وبين الوالدين والأولاد وبين الأولاد فيما بينهم. لينتقل للكشف عن الصورة المثالية للعائلة المكونة من الوالدين وطفلين (ولد وبنت) والتي تعرف حياة مختلفة، تتميز بعمل المرأة خارج المنزل، وبنجاح الأبناء في الدراسة، وبالخروج في رحلات، وبالعيش الهانئ والرغد، وبامتلاك سيارة تسهل التنقل في المدينة.

الاستنتاجات:

مرت السينما الجزائرية بفترات تطور وازدهار وأخرى اتسمت بالتدهور والركود وهو ما رسم ملامحها، كما أن الأحداث التاريخية والأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية أثرت بشكل مباشر على مواضيع ومعطيات السينما. لقد ركزت السينما الجزائرية على كل ما يخص المجتمع الجزائري دون سواه، وفي بعض الأحيان تطرقت إلى الجالية الجزائرية بالمهجر، إلا أنها لم تتطرق إلى مواضيع مجتمعات أخرى، فعلى سبيل المثال قدمت السينما المصرية أفلاما تعدت المجتمع المصري. أما السينما الأمريكية فلقد تعدت مواضيعها القارة الأمريكية إلى قارات أخرى وتناولت مواضيع مختلفة.

قدمت السينما الجزائرية قيم ايجابية سعت إلى ترسيخها في عقول المشاهدين، وقيم اجتماعية أخرى ما عادت جزء من المجتمع والتي سعت إلى تغييرها بقيم تناسب طابع المجتمع الحالي. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هل كل ما تسعى السينما إلى ترسيخه أو تغييره نجحت في ذلك؟ أي هل تأثر المشاهد وقام بتغيير قيمه؟ وبذلك يبقى البحث مفتوحا حول مدى تأثر المشاهد بهذه القيم؟

التوصيات:

بوصولنا للمحطة الأخيرة من هذه الدراسة، نقترح مجموعة من التوصيات:

- ضرورة تشجيع البحث والدراسة بمجال السينما الجزائرية وذلك وفق زوايا مختلف لتخصصات متعددة بغية الاستفادة منها في فهم المجتمع وتسييره.
- ضرورة إدراج السينما الجزائرية ضمن برامج التدريس بالجامعات وخصوصا بأقسام العلوم الاجتماعية والإنسانية لما تحتويه من معلومات حول الواقع الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي وتأثيره على المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

1. السينما في الوطن العربي. الكسان، جان. الكويت: عالم المعرفة، 1982.
2. 50 de cinéma maghrébin. DENISE, Brahimi. Alger : Chihab éditions, 2010.
3. Cinéma Algérie: en quête de l'intime. ROMANE, Malika Laïchour. La pensée revue éditée par la fondation Gabriel Péri. 384 Octobre/Décembre 2015.
4. Introduction à la sociologie générale: le changement sociale. ROCHER, Guy. Tome 3. Paris: édition HMH, 1972.
5. Introduction à la sociologie sociale: action sociale. Guy, ROCHER. Tome 1. Canada : HMH, 1969.
6. L'art du film: une introduction. BORDWEll, David ; THOMPSON, Kristin. 3ème édition. Belgique : de Boeck, 2013.
7. Le changement social contemporain. ROGEL, Thierry. Paris: Bréal, 2003.
8. Le cinéma algérien à partir des années 1990: ruptures, diversifications, croisements, réflexion sur des regards filmiques et leurs questionnements identitaires en transformations. DOMBERG, Verena. In : BIENBECK, Ricarda et al. Transformations : changements et renouveaux dans la littérature et le cinéma au Maghreb depuis 1990. Munchen: AVM Edition, 2016.
9. Les valeurs des français: évolution de 1980 à 2000. BRECHON, Pierre. Paris : Armand Colin, 2000.
10. Les valeurs fondatrices des sociétés contemporaines. WIE, Pan. Diogènes. Paris: Presses universitaires de France, 2008/1, n° 221.

قائمة الأفلام:

- أمة: الجزائر (روني فوتييه، 1954).
- معركة الجزائر (جيلو بونتكوفو، 1966).
- أولاد نوفمبر (موسى حداد، 1975)
- الأفيون والعصا (أحمد راشدي، 1970)
- دورية نحو الشرق (عمار العسكري، 1971)
- تاريخ سنوات الجمر (محمد لخضر حمينا، 1975)
- كريم بلقاسم (أحمد راشدي، 2014)
- لطفي (أحمد راشدي، 2015)
- فاطمة نسومر (بلقاسم حجاج، 2014)
- زبانة (سعيد ولد خليفة، 2012)
- مصطفى بن بولعيد (أحمد راشدي، 2008).
- ريح الأوراس (محمد الأخضر حمينا، 1966)
- امرأتان (عمار تريبش، 1992)
- زهرة الرمال (محمد رشيد بن الحاج، 1989)

- مسخرة (لياس سالم، 2008).
- عايش بتناش (عائلة من اثنا عشر فرد) (محمد حلمي، 1976).
- زوجة لابني (علي غانم، 1982).
- الفحام (محمد بوعماري، 1972).